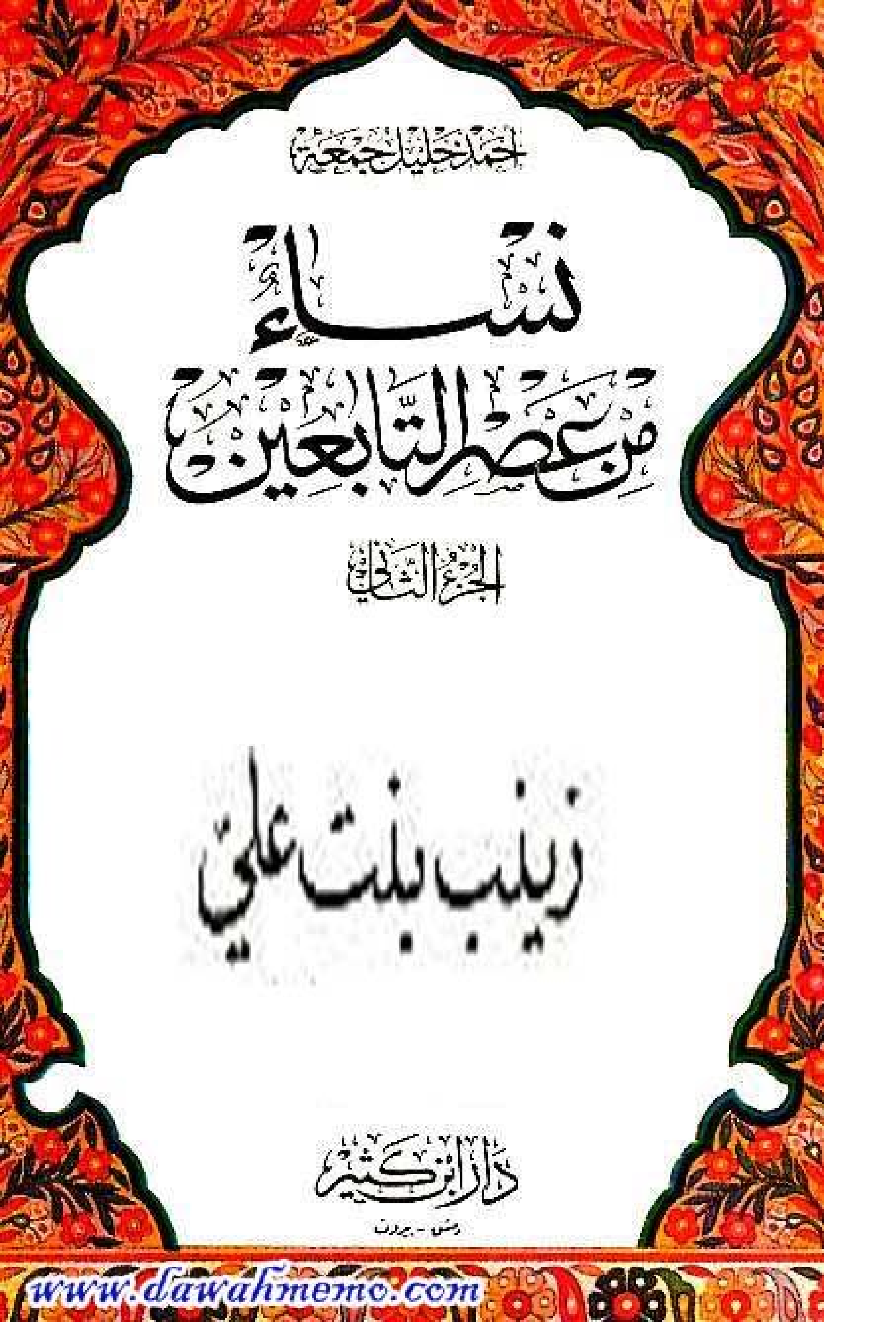


أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
الجزء الثاني
زينب بنت علي
دار ابن كثير
دمشق - بيروت
www.dawahmemo.com

(١٣)

زينب بنت عليّ

* راوية للحديث النبوي الشريف ، حازمة ، ذات عقل راجح ، بليغة ، خطيبة ، لها محاورة مع يزيد بن معاوية الخليفة الأموي .

زَيْنَبُ بنْتُ عَلِيّ

كَرَمُ الآباءِ والأَجْدادِ :

* وليدةٌ مباركةٌ استقبلتْها مدينةُ رسول الله ﷺ في العام الخامس من الهجرة النّبويّة .

* وفي بيت كريمِ الآباءِ والأجداد كان مولدُهَا .

فجدّها : سيّدنا رسول الله محمّد ﷺ ، وخير خَلْقِ الله على الإطلاق ، فهل بعد هذا مِنْ فخر ؟ .

وجدّتُها : صدِّيقةُ المؤمنات الأولى ، وأول النساء ـ في عهد النبوة ـ إسلاماً خديجة بنت خويلد[1] أم المؤمنين ، وسيّدة نساء العالمين في زمانها ، وهي ممن كمُلَ من النّساء ، كانت عاقلة جليلةً ديِّنةً مصونةً كريمةٌ من أهلِ الجنّةِ ـ رضي الله عنها ـ .

وأمّها : فاطمة الزّهراء[2] بنت سيّدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ ، سيّدة نساء العالمين في زمانها ، وأحبّ بنات النّبيّ إليه ، وأشبههن به في خَلْق

---

(١) للمزيد من أخبار أمنا خديجة اقرأ كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (١٣/١) .
(٢) للمزيد من أخبار فاطمة الزهراء اقرأ كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (٥٣/٢) .

وفي خُلق . كانت صابرةً ديّنةً خيّرةً صينةً قانعةً شاكرةً للهِ عزَّ وجلَّ ـ رضي الله عنها ـ .

وأبوها : سيّدنا عليّ بن أبي طالب عليه سحائب الرّضوان ، فارسُ النّبي الكريم ﷺ وابن عمه ، وأول مَنْ آمنَ به من الصّبيان ، أمير المؤمنين ، وأبو السِّبْطَيْن ، وأول هاشمي وُلِدَ بين هاشميين ، وأول خليفة من بني هاشم ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنّة ، وأحد العلماء الرّبانيين ، والشّجعان المشهورين ، والزّهاد المذكورين ـ رضي الله عنه ـ .

وجدّتُها لأبيها : فاطمة بنت أسد الهاشمية[1] ، كانت من المهاجرات الأُوَل ، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً ، وعندما توفيت أُلبسها رسول الله ﷺ قميصه لتكسى من حُلل الجنّة ـ رضي الله عنها ـ .

وأخواها الشّقيقان : هما الحسنُ بن علي : وهو الإمام السّيد ريحانة رسول الله ﷺ وسِبْطه ، وسيد شباب أهل الجنّةِ ، وشبيهُ جده رسول الله ﷺ . وشقيقُها الحسين ، هو الإمام الشّريف الكامل ، سِبْط رسول الله ﷺ ، وريحانته من الدّنيا ومحبوبه ـ رضي الله عنه ـ .

• وتلك الوليدة التي ولدت في البيت النّبويّ هي زينبُ بنت عليّ بن أبي طالب الهاشميّة[2] سِبْط رسول الله ﷺ .

* * *

(١) اقرأ سيرة فاطمة بنت أسد في كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (٥٣/١) ففيها كثير من الإشراقات اللطيفة إن شاء الله .

(٢) الطبقات (٤٦٥/٨) ، ونسب قريش (ص ٤١) ، وجمهرة أنساب العرب =

النَّشأةُ العِلْمِيَّةُ الزَّكيَّةُ :

* في ساحةِ البيتِ الشّريف ، تدرّجتْ زينبُ بنت علي محوطة برعايةِ جدها سيّدنا رسول الله ﷺ وعطفه وحبّه ، وعلى يدي الزّهراء ـ رضي الله عنها ـ صُنعت ، وتلقت عنها أمور الحياة ، وهي لا تزال غضّة صغيرة ، وفي مرحلة الطّفولةِ الأولى توفي جدها رسول الله ﷺ ثم والدتها الزّهراء ـ رضي الله عنها ـ ، فوجدت أباها أميرَ البيان ، وعالم الصّحابة وفقيههم ، فتلقّتْ عنه علماً جماً جعلها إحدى فرائد الدّهر أدباً ومعرفة ـ رضي الله عنها ـ .

* وذكر ابنُ عساكر ـ رحمه الله ـ أنَّ زينبَ بنتَ عليّ قد حدّثت عن أمّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وأسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ ، ومولى للنّبي ﷺ اسمه طهمان أو ذكوان .

* وروى عنها : محمّد بن عمرو[1] ، وعطاء بن السّائب ، وابنة أخيها فاطمة[2] بنت الحسين بن علي .

= (٣٧/١) ، والإصابة (٣١٤/٤) . وزينب بنت علي هذه ؛ تُعدُّ من الصّحابيات لأنها ولدت في عصر النبوة ، ولكننا آثرنا أن تكون في عصر التابعيات لأن نشأتها وشهرتها كانت في ذلك العصر .

(١) محمّد بن عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشميّ ، أبو عبد الله المدنيّ ، أمّه : رملة بنت عقيل بن أبي طالب . روى عن عمة أبيه زينب بنت علي وابن عباس وجابر ؛ وروى عنه سعد بن إبراهيم وغيره . قال أبو زرعة والنّسائي وابن خراش وابن أبي حاتم : ثقة . وذكره ابن حبّان في الثّقات (تهذيب التهذيب : ٣٧١/٩) .

(٢) اقرأ سيرة فاطمة بنت الحسين في هذا الكتاب ؛ ففيها ما يدخل السّرور إلى النفس إن شاء الله .

* ومن روايتها ما أخرجه ابن عساكر بسنده عنها أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ الصَّدقة لا تحلّ لمحمّد ولا لآل محمّد ، وإنّ مولى القوم منهم[1] » .

* * *

مَعَ ابنِ ذِي الجَنَاحَيْنِ :

* كان سيّدنا عليّ ـ رضي الله عنه ـ قد أوقفَ بناته على أبناء أخيه جعفر بن أبي طالب ، وها هي زينبُ ابنته تبلغ مبلغ الزّواج ، ويتقدم لخطبتها شباب من بني هاشم ومن قريش ، غير أنَّ سيّدنا علياً ـ رضوان الله عليه ـ قد اختار لها ابنَ أخيه عبدَ الله بنَ جعفر ـ رضي الله عنهما ـ .

* وعبد الله بن جعفر هذا ؛ هو السيّد العالم ، أبو جعفر القرشيّ

(١) تاريخ دمشق (ص ١٢٠) .
وفي تحريم الصّدقةِ على بني هاشم : يقول ابن قُدامة : لا نعلمُ خلافاً في أنّ بني هاشم لا تحلُّ لهم الصّدقة المفروضة ، وقد قال النبيُّ ﷺ : « إنَّ الصّدقةَ لا تنبغي لآل محمّد إنّما هي أوساخ النّاس » رواه مسلم .
وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : أخذ الحسنُ تمرة من تمْرِ الصّدقة ، فقال النبيّ ﷺ : « كخ كخ : ليطرحها ، أما شعرتَ أنّا لا نأكل الصّدقة » متفق عليه .
وكما حرّم النبيّ ﷺ الصّدقة على بني هاشم ، حرّمها كذلك على مواليهم ـ خدمهم ـ فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أنّ النبيّ ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصّدقةِ فقال : اصحبني كيما تصيبَ منها ؛ قال : لا حتى آتي رسول الله فأسأله ، وانطلق فسأله فقال : « إنَّ الصّدقة لا تحلُّ لنا وإنَّ موالي القوم من أنفسهم » رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح .

الهاشميّ الحبشيّ المولد، المدنيّ الدّار، الجوادُ بن الجوادِ ذي الجناحين، وقطبُ الجود والسّخاء والكرم، وهو آخر مَنْ رأى النّبيّ ﷺ وصَحِبَه من بني هاشم. وعبد الله هذا؛ هو الذي دعا له النّبيُّ الكريم ﷺ بالبركةِ فقال:

«اللهمّ بارِكْ له في تجارته».

أضفْ إلى ذلك أنّ عبدَ الله شبيه رسول الله ﷺ وفيه يقول: «وأمّا عبد الله فيشبه خُلُقي وخَلقي»[1].

* ومع هذا الزّوج الكريم عاشت زينب ـ رضي الله عنها ـ، فأنجبت له أربعة بنين وهم: عليّ، وعون الأكبر، وعبّاس، ومحمّد؛ وولدت له بنتاً واحدة اسمها: أمّ كلثوم.

* وكانت زينب ـ رضي الله عنها ـ تُسرُّ أشدَّ السُّرور عندما ترى مروءة زوجها، وجُوده وبَذْله، وكيف لا؟ وهو منْ أهل بيت النّبوة أهل الجود والكرم والبذْل والعطاء.

* قيل: إنّ أعرابياً قَصد مروان بن الحكم فقال: ما عندنا شيء، فعليك بعبدِ الله بن جعفر، فأتى الأعرابي عبد الله فأنشأ يقول:

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نُبوّةٍ
صلاتهمُ للمسلمين طهُورُ
أبا جعفرٍ إنّ الحجيجَ ترحّلوا
وليس لرحلي فاعلمن بعيرُ

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٤٥٨).

أبـــا جعــفــر ضَــنَّ الأمــير بمــاله

وأنتَ عــلى مـــا في يــديك أمـــيرُ

أبـا جعفر يـا بن الشَّهـيد الذي له

جنـــاحـــان في أعـلى الجنـــان يطـيرُ

أبـا جعـفـر ما مثـلك اليوم أرتجي

فـــلا تــتركـني بـالفـــلاة أســـيرُ

فقال : يا أعرابي سار الثِّقْل ، فعليك بالرّاحلة بما عليها ، وإياك أنْ تُخدعَ عن السَّيف ، فإنّي أخذته بألف دينار(١) .

* * *

زَيْنَبُ بَطَلَةُ المَوَاقِفِ :

* عُرفت زينب ـ رضي الله عنها ـ بأنّها امرأة جزْلة الرَّأي حازمة ، ذات عقل راجح ، وبلاغة نادرة بين النّساء ، وكانت ثابتة الجنان ، رفيعة القَدْر ، خطيبة ، فصيحة ، وكانت مع أخيها الحسين بن علي رضي الله عنهما في كربلاء ، وكذلك بعض أولادها .

* وفي أرض كربلاء ، اقتربت من خيمة أخيها الحسين ـ رضي الله عنه ـ فسمعته يرتجز :

يـــا دهـرُ أفٍّ لكَ مِنْ خـــليـــل

كَم لكَ بـــالإشـــراقِ والأصـيـــل

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٤٥٩) .

مِنْ صـــاحـبٍ أو طـالـبٍ قتيـــلِ

والدّهـــرُ لا يقـــنـعُ بـــالبـــديـــلِ

وإنّمـــا الأمـــرُ إلى الجـــليـــلِ

وكلُّ حيٍّ ســـالكُ السّبيـــلِ

وأعاد هذا الرجز مرتين أو ثلاثاً ، فلم تملك زينب نفسها حتى وثبت تجر ثوبها حتى انتهت إلى الحسين ، وتوقعت حَدَثاً جليلاً فنادت : واثكلاه .. .. ، عندئذٍ أوصاها قائلاً : يا أخية ، إنّي أقسم عليكِ ألا تشقي علي جيباً ، ولا تخمشي عليّ وجهاً ، ولا تدعي عليّ بالويلِ والثبور إنْ أنا هلكتُ[1] .

* واستشهد الحُسين ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، ونَفَذتْ وصيته ، ولما قُدِمَ بها على يزيد بن معاوية مع أهلها كانت بطلة الموقف ، إذ تكلمت فأحسنت وأوجزت ، ووصفتها أختها فاطمة بنت عليّ يومذاك فقالت : كانت أختي زينب أكبر مني وأعقل .

* وتروي المصادر أن محاورة طويلة جرت بين زينب ويزيد بن معاوية تدلُّ على فطنتها وبلاغتها وقوة حجتها ، وانتهتْ هذه المحاورة بأنْ استحيا يزيد منها وسكت ، وأحسن مثواها ومَنْ كان معها وردّهم إلى المدينة رداً جميلاً ، وقال للنُّعمان بن بشير الأنصاري :

يا نعمان بن بشير جهزهم بما يصلحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشّام أميناً صالحاً ، وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة .

---

(١) عن الكامل (٤/٥٨ و ٥٩) بشيء من التصرف والاختصار .

ثم أمر بالنسوة أنْ ينزلن في داره على حدة معهن أخوهن علي بن الحسين في الدّار التي هو فيها ، فخرجنَ حتى دخلن دار يزيد ، فلم يبقَ من آل معاوية بن أبي سفيان امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين ، وعلى مَنْ قُتلَ معه وخاصة أولاد زينب بنت علي ـ رضي الله عنهما ـ ، فقد كان ابناها : عون الأكبر ومحمد قد استشهدا مع الحسين ـ رضي الله عنه ـ ، وكذلك بقية الشُّهداء من آل جعفر ومن بني عبد المطلب .

* ثم إنَّ يزيد بن معاوية كساهم جميعاً ، وأوصى بهم ذلك الرسول الشّاميّ ـ وكان بهم مستوصياً ـ فخرج بهم فكان يسايرهم بالليلِ فيكونونَ أمامه حيثُ لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تنحى عنهم ، وتفرّقَ هو وأصحابه حولهم كهيئةِ الحرس لهم ، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسانٌ منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشمْ ، فلم يزلْ ينازلهم في الطّريقِ هكذا ، ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم ويبرّ بهم حتى دخلوا المدينة المنورة[1] .

* * *

« هَلْ جَزَاء الإِحْسَان إلّا الإِحْسَان ؟ » :

* على الرّغم منَ المصيبةِ ومن الحزن الذي كان يخيّم على الرّكب العائد إلى المدينة المنوّرة ، لم تنسَ زينب بنت علي ـ رضي الله عنهما ـ

(١) عن تاريخ الطبري (٣٣٩/٣ و ٣٤٠) ، وتاريخ دمشق (ص ١٢٢ و ١٢٣) بشيء من الاختصار والتصرف .

أنْ تُحسنَ لمن أحسن إليها ، وتجود ـ كعادتها ـ بما تستطيع ، ولعلَّ جودها وجود أُختها فاطمة في هذا الموقف الحزين من أروع أخبار الجود في عالم النِّساء ، فقد أورد الطّبريُّ وابنُ الأثير أنَّ فاطمةَ بنتَ علي قالت :

قلتُ لأختي زينب : يا أخيّة ، لقد أحسن هذا الرجل الشّاميُّ إلينا في صحبتنا ، فهل لكِ أنْ نَصِلَه ؟ .

فقالت : والله ما معنا شيء نصله به إلا حُليّنا .

قالت لها : فنعطيه حليّنا .

وأخذت كل واحدة منهما سوارها ودُملجها ، فبعثتا بذلك واعتذرتا إليه ، ثم قالتا له :

هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحَسَنِ من الفعل .

فقال : لو كان الذي صنعتُ إنّما هو للدّنيا ، لكان في حليكنّ ما يرضيني ودونه ، ولكنْ واللهِ ما فعلته إلا لله عزَّ وجلَّ ، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ(١) .

* وقد أثرت عن زينب ـ رضي الله عنها ـ كلمات رائعات تدلُّ على مدى صلتها بالله عزَّ وجلَّ ، من ذلك أنّها كانت تقول : مَنْ أراد أنْ يكون الخلق شفعاءه إلى الله فليحمده ، ألم تسمعْ قولهم : سمع الله لمن حمده ، فَخَفِ الله لقدرته عليك ، واستح منه لقربك منه .

* * *

(١) عن تاريخ الطبري (٣/٣٤٠) والكامل (٤/٨٨) بتصرف يسير جداً .

« عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِر » :

* لم تعشْ زينب بعد مقتل أخيها وولديها أكثر من سنة ، حيث لبّت نداء المليك المقتدر جلّ جلاله في سنة (٦٢ هـ) .

* أمّا عن مكان وفاتها ، فلم تُشرِ المصادر إشارة يقينية إلى هذا . لكنه من الجدير بالذكر أنّ بعض المصادر أشارت إلى أنّ زينب دُفنت بمصرَ ، أو بالشّام . غير أنّ صاحبَ كتاب : « الخطط التّوفيقية » يأتي بالخبر اليقين تعليقاً على المتداول بين النّاس من أنّ زينبَ بنت عليّ هي المدفونة في الحي المعروف الآن باسمها في القاهرة قال : لم أرَ في كُتُب التّواريخ أنّ السّيدة زينب بنت علي ـ رضي الله عنهما ـ جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات[1] .

وأغلب الظّن ، أنّ زينب بنت علي قد توفيت في المدينة المنورة ، والله تعالى أعلم .

* ومع وداع زينب بنت علي ـ رضي الله عنها ـ ، تلك المرأة الصّابرة التّقية نتذكر قول جدّها سيدنا رسول الله ﷺ عند ذكرِ المصائب في الحديث الذي رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله ﷺ أنه قال :

« ما من مسلم يُصاب بمصيبةٍ فيتذكرها ، وإنْ تقادم عهدها ، فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاهُ الله منَ الأجرِ مثل يوم أُصيب فيها »[2] .

* رحم الله زينب ورضي الله عنها ، وأدخلها الجنّة مع الصّابرين .

* * *

(١) الأعلام (٦٧/٣) نقلاً عن الهامش .

(٢) رواه الإمام أحمد وابن ماجه كما في البداية والنهاية (٢٠٥/٧) .